بسم الله الرحمن الرحيم

سُنّةَ الفراق تغتالُ أي علاقة؛ فتباعد بين الأحباب، وتفرّق بين الأصحاب...بل حتى الذين لا تتخيل أن تفارقَهم يومًا ما ممن تجمعك بهم أوثقُ روابطِ النسبِ والصِّهرِ من أبٍ وأم، وأخٍ وأخت، وزوجٍ وولد، فإن سُنّةَ الفراق يومًا ما ستذوقُ ألَمها ويذوقوها...

ولكن كما يقال لكل قاعدة استثناءٌ؟ فهناك رفيقٌ سيلزمك، لن يفارقَك ولن تفارقَه...إنه العملُ الصالح المخلص الوفيُّ الذي لم ولن يتخلى عنك لحظة...

*العمل الصالح الذي يؤنسك في هذه الدنيا، وتعيشُ الحياةَ الطيبةَ السعيدةَ ، كما وعد سبحانه فقال:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل: ٩٧].

*العمل الصالح الذي يسير معك في طريقِك إلى الله، تستندُ عليه لتثبتَ على الطاعة، وتتكئُ عليه حتى تصلَ إلى الهداية، قال سبحانه:{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا}[النساء: ٦٦- ٦٨].

*العمل الصالح الذي يطهّرُك من الآثام والزلل، فتسلمَ من شرَرِ الذنوب في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}[هود: ١١٤].

*العمل الصالح الذي سيبقى معك حتى بعد موتك وبعد أن يتخلى عنك كل أحد؛ فعن أَنَس بْن مَالِكٍ قال: قَال صلى الله عليه وسلم: ((يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ))، وفي رواية:

((ما مِن عَبدٍ ولا أَمَةٍ إلَّا ولهُ ثَلاثةُ أخِلَّاءَ، فخَليلٌ يقولُ : أنا معَكَ، فخُذ ما شِئتَ، ودَعْ ما شِئتَ فذلكَ مالُه. وخَليلٌ يقولُ: أنا معَكَ، فإذا أتيتَ بابَ المَلِكِ تَركتُك؛ فذلِكَ خَدَمُه وأهلُه وخليلٌ يقولُ: أنا معَك حَيثُ دخلتَ وحيثُ خرجتَ؛ فذلكَ عَملُه فيقول: إن كنتَ لأهونَ الثلاثةِ عليَّ))...

سيبقى معك ليرافقَك في قبرك، ليوسِّعَ عليك ضيق القبر، ويؤنسَك بعد الوحشة، ويعوضَك عن فراقِ الأهل والأصحاب والأحباب، قال صلى الله عليه وسلم في وصف حال المؤمن في قبره: ((ويأتِيه رجلٌ

حَسَنُ الوجهِ طيِّبُ الرِّيحِ فيقولُ: أبشِرْ بالَّذي يسُرُّكَ، فهذا يومُكَ الَّذي كنتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: مَن أنتَ؟ فوجهُكَ الوجهُ الَّذي يجيءُ بالخيرِ، فيقولُ: أنا عمَلُكَ الصَّالِحُ)).

*العمل الصالح هو الرفيق الذي سيرافقك {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}[عبس: ٣٤-٣٦] أما عملُك الصالح فسيبقى معك لا يفارقُك حتى عند الوقوفِ بين يدي الله للحساب...قال صلى الله عليه وسلم: ((ما مِنكُم أحَدٌ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ تُرْجُمانٌ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ مِن عَمَلِهِ، ويَنْظُرُ أشْأَمَ منه فلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، ويَنْظُرُ بيْنَ يَدَيْهِ فلا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقاءَ وجْهِهِ...ثم يختمُ صلى الله عليه وسلم بوصيةٍ تحثك على الاستزادة من العمل الصالح مهما قل، فيقول: ((فاتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ))...

في ذلك اليوم ستأتي مفرداتٌ من العملِ الصالحِ لتشفعَ لك وتحاجّ عنك فتكونَ أكبرَ مصدرِ دعمٍ لك في ذلك الموقفِ العصيب...سيأتي القرآنُ شفيعاً لأصحابِه الذين اختاروا رفقتَه في الدنيا، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما)).

بل حتى بعدَ الحساب وبعد استلامَ الكتب لن تنحل رابطةُ تلك الصحبةِ الوثيقةِ بينك وبين العمل الصالح، ففي موقف الصراط يقول صلى الله عليه وسلم: ((وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ، فتَقومانِ جَنَبَتَيِ الصِّراطِ، يَمينًا وشِمالاً)) تقف الأمانةُ والرحمُ على الصراطِ لتحاجّان عن المحقِّ الذي أدى حقَّ الله فيهما، وتقربَ إلى الله بهما، وهما كذلك يطلبان حقهَما ممن فرّط فيهما...

قال تعالى:{مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}[الروم: ٤٤] قال بعض السلف: إن العمل الصالح يكون مهادًا لصاحبه في القبر، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد، فكل عامل يفترش عمله ويتوسده من خير أو شر...

فالعاقل من عمَّر بيته الذي تطول إقامته فيه، ولو عمره بخراب بيته الذي يرتحل عنه قريبًا لم يكن مغبونًا بل كان رابحًا...قال لقمان لابنه: يا بني لكل إنسان بيتان: بيت غائب، وبيت شاهد، فلا يلهينك بيتك الشاهد الذي فيه عمرك القليل، عن بيتك الغائب الذي فيه عمرك الطويل...فاتقوا الله وبادروا بصالح الأعمال قبل حلول الآجال، قال تعالى:{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

رَبِّهِ أَحَدًا}[الكهف: 110] وتخففوا من الذنوب والآثام، وفُكُّوا ما بينكم وبينها من الوثاق، فإنها صحبةُ خيبةٍ ورفقةُ حسرةٍ وندامة...فطلقوا العملَ السيئ بصدقِ التوبةِ والرجوع إلى الله تعالى، واستعينوا بالله على ذلك، نعم المولى ونعم الوكيل....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين